

٨٢ عاماً على ميلاد لطفي أمان

الشعراء قوة.. والقوة لا تموت

محمد عمر بحاح

يصادف 12 مايو الحالي، الذكرى 82 على ميلاد الشاعر لطفي جعفر أمان الذي ولد في مدينة عدن في مثل هذا التاريخ عام 1928م وقد احتل مساحة من الذاكرة الشعرية والغنائية المعاصرة، إذ صارت أعماله برسم القراءة والتداول ولا تزال حتى بعد وفاته في القاهرة عام 1971 «26 ديسمبر». وفي هذا الحضور تتبدى صحة ما يذهب إليه كثيرون بان حياة الشاعر لا تتبدى بالمهد وتنتهي بالحد بل تمتد من الأزل إلى الأبد..

ربما انطفأ الجسد الذي انهكه مرض القلب ولم يبلغ من العمر سوى 43 عاماً فقط، لكنه خلال هذا العمر القصير حقق شاعريته وشهرته وسجل اسمه في السجل الذهبي كشاعر كبير في مملكة الشعر، ونشر قصائده ودواوينه وانغامها بمزهره فسحر بها الالباب وتداولها الرجال والنساء وحفظ اغانيه وهام بها الفتيان والفتيات، وتغنى بها المطربون المطربات فكتب لها التاريخ ان تعيش ويعيش لذلك فان عمره الحقيقي ليس العمر البيولوجي الذي عاشه بل بقاء الروح «الكي خالد، او كما يقول الشاعر «القروي»: «نحن الشعراء لانموت ولكن نتغير، نحن قوة والقوة لا تموت».

فنان شامل

فتح الطفل لطفي أمان عينيه في بيت اسرة متوسطة الحال تهتم بالشعر والرسم والموسيقى فشقيقه جعفر كان يكتب الشعر وشقيقه فتحي كان رساما وكان من اشقائه من يعزف العود ومنهم من يغني كما جاء على لسان صديقه ومعاصره الشاعر عبدالله فاضل فارح.

ولأن نظرة الانسان للعالم تتكون اثناء الطفولة والمراهقة فان لطفي كما يبدو اخذ من كل هؤلاء شيئاً فكان شاعراً مرموقاً وكان رساماً جيداً زين بعض دواوينه برسوماته وكان يعرف على الاقل مبادئ العزف والتلحين . يورد الشاعر الدكتور شهاب غانم ان لطفي هو من لحن اغنية «ماكانش ظني» التي غنتها الفنانة فتحية الصغيرة كدليل على اجادته للتلحين، بل ان لطفي زاد على (اجادته لهذه الفنون جميعاً فاضاف اليها التمثيل، كما عمل مديعاً في اذاعة عدن في بداية تأسيسها في عام 1957 وقدم من خلالها برامج ادبية وتربوية، وساهم في تحرير مجلة (المعلم) ونشر عدداً من المقالات في عدد من الصحف المحلية الصادرة في عدن وعمل محاضراً في مركز تدريب المعلمين في حقبات بعد عودته من دراسته الجامعية في السودان عام 1962م وترقى الى مفتش مدارس ثم الى ضابط معارف وتولى مسؤولية المطبوعات والنشر في وزارة المعارف ثم صار مديراً للتربية والتعليم واخيراً وكيل وزارة وهو اخر منصب شغله حتى وفاته.. لكن تعدد مواهبه وانشغاله بالوظيفة العامة لم يأخذ لطفي أمان من انصرافه الى الشعر فسيظل عطاؤه الافضل الباقي الذي لم ولن يفارقه وكان بالنسبة له الهواء الذي يتنفسه ونبض حياته وعبقه الذي يعبق بحب الارض الوطن، المرأة والحياة بذوق مرهف وعبرة رشيقة وساهم

به في تحرير الشعر اليمني من التفرع والقوالب الجامدة ونفخ فيه حيوية وحداثة

بقايا نغم

بدأ نشر اشعاره وهو لا يزال طالباً في صحيفة (فتاة الجزيرة) التي اصدرها في عدن محمد علي لقمان المحامي سنة 1940م ويعد لطفي امان اول من اصدر ديواناً شعرياً في اليمن كلها حين اصدر (بقايا نغم) عام 1948 عن دار «فتاة الجزيرة» ثم اتبعه (ب) (الدرب الاخضر) و (كانت لنا ايام) و (ليل الى متى؟) و (اليكم يا أخوتي) وكلها باللغة العربية الفصحى كما صدر له ديوانان اخران بالفصحى ايضاً هما (موكب الثورة) و (الى الفدائيين في فلسطين) سنة 1966 ولم يصدر له سوى ديوان واحد (الليالي) باللهجة العدنية التي كتب بها اغانيه.

نثره لا يقل روعة

وقد ضم الديوان اكثر من 20 اغنية لحنها وغناها له مجموعة من اشهر الملحنين والمطربين في عدن تنتمي كلها الى مرحلة الخمسينيات من القرن الماضي ولم يتمكن من اصدار ديوان ثان لاغانيه باللهجة العدنية في حياته اما اعماله الشعرية الكاملة فقد نشرت عام 1997م، ولم يهتم الشاعر بجمع تراثه النقدي الادبي او التربوي الذي نشره في الصحف المحلية وفي مجلة «المعلم» مثلما اهتم بجمع شعره كما لم يهتم به ورثته او المؤسسات الثقافية والادبية المعنية فلم تعرف الاجيال الجديدة التي لم تعاصره لطفي الناقد ولطفي الكاتب كما ان الذين درسوا سيرته وشعره لم يلفت انتباههم هذا الجانب الهام في حياته الذي ضمنه العديد من افكاره وارائه في الشؤون الادبية وخاصة الشعر فلم يحظ نثره بنفس القدر من الاهتمام الذي لقيه شعره مع ان نثره لا يقل روعة اذ يتحول تحت قلمه المرهف الى عمل ادبي تقرأه بمتعة وشغف وتتذوقه كقطعة فنية.. وهي اناقة في اللفظ والمعنى كان يحرص عليها لطفي في نثره كما في شعره ولكنه للأسف لم يجمع حتى الآن!

رومانتيكي . واقعي!

ينسب لطفي امان الى تيار الرومانسية فهو باتفاق النقاد احد روادها المشهورين في اليمن والوطن العربي الذين كان لاشعارهم سحرها ومواضيعها تثير الخيال سواء في طبيعتها او شكلها لكن هذا لا يعني ان شاعرنا الكبير كان يغني الوهم الذي ليس فيه شيء صحيح بل انه كان يلجأ في مخيلته ليجلو ابعاد الحقيقة والواقع ولأن الرومانسية كانت سائدة في الزمن الذي ظهر فيه لطفي في الشعر وفي مختلف الانواع الادبية فان لطفي الانسان الرقيق بطبعه المرهف بتكوينه قد اراد من خلال تفق موهبته الشعرية المبكرة ان يحيد عن سهام الواقع القاسي المؤلم وان يكون في ذات الوقت منتحياً الى عالم الواقع والبشر لذلك كان لابد ان تصيبه بعض السهام الحقيقية لا المتخيلة.

تأثر لطفي امان بشعر الشعراء الرومانسيين من امثال السوداني التيجاني الطيب بشير والمصري محمود حسن اسماعيل والتونسي



ابي القاسم الشابي واللبناني الياس ابو شبكة ومن غريب ما يذكر انهم جميعاً ماتوا في سن الشباب لكنهم كانوا قد ولدوا مثل شاعرنا الراحل لطفي مکتلمين.. بل ان هذا الموت المبكر سيكون من نصيبه اذ مات وهو في الثالثة والاربعين فقط من عمره وبحسب الناقد احمد اديب فان اهم ما يميز لطفي انه يكتب كفنان وصاحب رؤية له مواقف ومقدرته الفلسفية

ولم يكن (الشكل) في شعره عنده الغاية لذلك لانجده مثقلاً بلغو الوصف وربما لهذا لانجد القطيعة حاسمة بين رومانسيته وواقعيته دون ان يرقى الى التمرد الخطير.. لكنه احتفظ لنا بعظمة ابداعه الباقي.

من الطبيعي ان كل شاعر او مبدع يمر بمراحل تطور وتغير على صعيد ما يبدع وقد مر لطفي بمثل ذلك في مسيرته الابداعية وفي هذا تكمن الناحية الاساسية للتجدد والتحول في شعره من دهشة المخيلة وهم الرومانسية الى الميل الى الواقع والالتفات الى المجتمع والصدى الاجتماعي والنضال التحرري لشعبه والقومي لأمة العربية، والانفعال بما يفرزه الصراع بين الاسعمار وقوى التحرر.. وهذه المرحلة الشعرية هي التي استبدل فيها لطفي كلماته واشعاره الرهيفة بلغة اخرى خالية من العواطف الرومانسية لكي يظهر الواقع على حقيقته ويحرض على تغييره هنا نجده يتخلى عن رداءه اللغوي المتأنق ويحبك لغة نارية سيغنيها الشعب في معاركه ضد الاحتلال الاجنبي.. «أخي كيلوني» و «صرخة المجد التليد» و «أخي كبر الفجر في ارضنا» و «يابلادي» و «على ارضنا بعد طول الكفاح» وقصائده عن فلسطين مثال على هذا التحول الذي نعنيه.

من الفصحى الى العامية

اما نقطة التحول الاخرى والمهمة في شعره فنكمن في اللحظة التي ادرك فيها التأثير العميق للاغنية واللهجة او العامية في حياة الناس فاتخذ منهما نقطة انطلاق للوصول اليهم واذ كان لم يستطع ان يتخلص في اغانيه العاطفية من موضوعات الحب والغزل والصد والهجران الاثيرة لدى كل الشعراء الغنائيين لكن كان للهجته الغنائية وهجها ولمفرداته نبضها وحيويتها وموسيقاها فادخلت دماء جديدة الى الاغنية المحلية ونقلتها نقلة موضوعية لاليس فيها ولاغبار وحررتها من التقليدية والضالة فنالت اغانيه الشهرة والانتشار على يد افضل ملحن ومطربي عصره احمد قاسم، ومحمد مرشد ناجي، وسالم بامدهف، وابوبكر سالم بلقفيه، وفتحية الصغيرة وسواهم.

وفي رأيي فان الشعر الغنائي لطفي امان يحتاج الى دراسة معمجة خاصة به لان المفردات والكلمات التي يستخدمها الشاعر تتحول من دلالاتها المعجمية في اللهجة العدنية لتكسب دلالات جديدة لصيقة بشخصه هو من دون سواه وفي مثل هذه الدراسة فقط نستطيع الوقوف على ابداعه الغنائي

واساليبه كجديدة في الاغنية ومدى اشتغاله على اللهجة والمفردة وعلى خصوصية تجربته الابداعية البنائية الهندسية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بزمان كل اغنية وطبيعة موضوعها وصورها وايقاعاتها الداخلية وما اضافه لطفي الى الشعر الغنائي اليمني وتحديداً الى الاغنية الحديثة «العدنية» والتي لم تصل إليها قبله، وباختصار يمكن القول ان لطفي وجد في كتابة الاغنية باللهجة التعبير بواسطة الكلمة المغناة قوة تعادل ان لم تتفوق على قوة الكلمة المكتوبة بالفصحى وسحرها لذلك كان يحرص على كتابة اغانيه بالعامية وقصائده باللغة العربية فشد اليه انظار الخاصة واذان العامة جنباً الى جنب.

يا بلادي

اقضى من قمة الطود لأعلى الشهب وادفعي في موكب النور مطايا السحب واستقلي كوكبا يزهو بأسنى موكب فلقد مزقت عن نفسي كثيف العجب ولقد حطمت أصنام الدجى المنتجب وهوى البرج على أوهامه والكذب وانبرت بي في المدى أجنحة من لهب تزرع الأضواء في جفن الليالي المتعب وتبيل الجذب من شؤبوبها المنسكب

xxxxx

يا بلادي لم اعد أسطورة في الكتب لم اعد من ألف (ليلة) ليلة من عجب لم اعد أنقاض مجد في ضمير الحقب لم اعد ادفن دمعي في رغام الغيب لم اعد طيف خيال بالرؤى مختضب أو أنينا راعف الجرح بصدر مجذب أو نشيدا مخجلا يضحك منه الأجنبي أشرق المسعى فلننور شذى من مطلبني والسنا يغمر أفقي وطريقي الذهبي

xxxxx

يا بلادي.. يا نداء هادرا يعصف بي يا بلادي.. يا ثرى جدي وابني وأبي يا رحيبا من وجودي.. لوجود أرحب يا كنوزا لا تساويها كنوز الذهب اقضى من ذروة الطود لأعلى الشهب اقضى.. فالجد بسام السننا عن كذب اقضى.. فالجد ما دان لمن لم يثب

xxxx

يا بلادي كلما أبصرت (شمسان) الأبني شاهقا في كبرياء حرة لم تغلبي صحت يا للمجد في أسمى معالي الرقب يا لصنعاء انتفاضات صدى في يثرب يا لبغداد التي تهفو لتجوى حلب يا لأوراس نظى في ليبيا والمغرب يا لأرض القدس يحمي قدسها ألف نبي يا لنهر النيل يروي كل قلب عربي فاملأ كاسك من فيض دمانني واشربي يا بلادي.. يا بلادي يا بلاد العرب!